

# الملاحظة الحضارية والشعر

بقلم بطاع صفدي

على الإنطلاق ، ان هذه الصورة هي التي ادعت ثورية جنسية . هي التي استثمرت غرائز التابو الاجتماعية ، لتدفع بها اعماق فاعمق نحو اشكال مرضية ، وشذوذية ، في سلوكية المراهقين من المثقفين ، حتى يصبح المثقف مراهقا ابديا .

ولقد رأينا ولا شك ان الشعر الجماهيري ، كان الاسبق لمجاراة الثورة المادية في الشارع ، وتلقاء رموز الاستعباد .

ولكن الشعر كان يحس بضرورة ان يكون هو ذاته ثورية دائمة . ان يستنطن حقيقة الحضارة الجديدة ، التي يزمعها العربي ، ويبحث لها عن وسائل جذرية للتحقق والتأثير الحي .

ولقد استطاع صلاح عبد الصبور ، ان يكشف عن الجانب اليومي المأساوي من حياة الشباب المعطل عن الثورة . وكان يضع يده على اولى درجات الشمول من المشكلة الحضارية للوضع الثوري . وهو ذلك الوعي الشعري لمعطيات العقبات الوجودية ، التي تقف في وجه حركة التكون الايجابي ، للعربي ، الانسان المعاصر . وكان بدر شاكر السياب يثور بصورة اكثر ارتباطا بالعمل الجماعي المباشر . وهذا ما جعل

التقنية الفنية عنده سريعة التحول من اصولها التقليدية لكي تستوعب الانفعالات الجديدة . فحاول شعر السياب ان يتصل بدوره بالمنحى الحضاري ، ان يفزل سداه على ايقاع هذا المنحى ، ان يستلهم حصادا شعريا من ( ايقاع الرعب ) . ولكنه جر معه كثيرا من تردد التهورج الشعري القديم . فلقد بقي عنده ، السحر الاول للفظة . وظل اسيرا لتداعي الانفعال العريض . تجذبه صورة وتدفع به صورة اخرى . وهكذا لم تستطع

امواجه الرائعة ، ان تجد لها خصمها ، ان ترتفع فوق عمقها الشمولي ، من الخصم . لقد ارتبطت به ، هو الانسان المنفعل ، ولم تسعفه اللطالة المطلقة ، لم تعده لان يكون اكثر من ارتجاجات جميلة في ايقاع الرعب ، تظل اشبه بالاصداء ، ولن تستطيع هي ذاتها ان تقود ، وان تفعل .

ولعل السبب في ذلك ، ان الموقف الذي ربط السياب بالشرط الثوري ، هو موقف طبيعي تأثري . ولذلك لم تكن اعظم مأسية ، في ( حفار القبور ) و ( جيكور ) وتوابعها ، سوى اناشيد جنازية . انه شاعر يعني ، يصف المأساة ، ولا يحكمها . ولذلك قد تتحول عنده فعالية المأساة ، بكل تناقضاتها الوجودية ، الى ( مرثية ) ، الى نذب جنازي .

اي الى موقف انفعالي ، يترجم عن جانب الاستسلام الناعي لقسوة صاحبه ، تلقاء احداث المجهول المرعبة . ولقد يقع السياب على احساس كثيرة ، ومرثيات ، وتجسيمات فكرية فخمة . ولكن مشكلة الاطوار الذاتي ، تظل عالقة بملاحمه . اذ ان هذا الاطار معرض للتفكك الجزئي كل لحظة . ان خيال السياب لا يصمد امام اغراء اللمحة ، وان كانت هذه اللمحة غريبة عن مشروع اللمحة الكلية .

ليس اقدر من السياب على الاندياح ، كعادة الشعراء العرب ، اثناء الحضارة العباسية ، حول نقط ارتكاز متعددة ، لا تجمعها اية رابطة ، اعماق من عفوية الاندياح المادي ، الذي يرجع الى قدرات الكلمات ، والصور والايقاع الانفعالي . ولا يستطيع ان يندمج في تصميم وجودي شامل .

ان السياب يعامل قضايا شعره بثقافة الاحساس الراهن . وقد يترأى له ان هذا الاحساس يمكنه ان يتحول الى مطلق . وهذا التحول لا يكون الا عن طريق النسيج الاندياحي ، أي عن طريق هذه التناولات الجانبية المختلفة ، التي تكرر مضمونا واحدا لا شعوريا ، بادوات خيالية

لم تعد مسألة الخلق الفني تتغذى من ترف في الذوق والمعاينة . انها ظاهرة حضارية اساسية ، تترجم هي نفسها عما لا يمكن ان تقدمه الحضارة ، من خلال وسائلها الابدائية ، وعلاقتها الاجتماعية المباشرة . وليست هذه الظاهرة لتقتصر على مهمة الترجمة والتعبير ، عما هو متحقق في شخصية هذه الحضارة ، من معان وخصائص ذاتية معينة . بل انها هي نفسها خالقة لهذه الشخصية من داخل . والخلق فيسي

اساسه لا يعني شيئا اخر غير الثورة . لان اعطاء صورة جديدة ، يعني الحكم على اساسها التاريخي باللافعالية . وهذا ما يؤدي بدوره الى انشاء حس بالرفض . ولا يتخذ من سلبية الرفض سوى الخلق . واجلى مظاهر الخلق ليست في الكائنات المخلوقة ذاتها ، وانما هي في هذه

الامكانية على الخلق ، في تشكل طبع للخلق ، في نمو احساس قلق ، بعدم اصالة كل ما هو متداول في يوميات الواقع ، من اجل هذا الذي يحمل الانقاذ والروعة معا .

ان الحضارة كنتاج ، ليست سوى اشارة مجسمة . واما الحضارة كطبع انساني ، فانها هي تلك التي تؤمن شرط الانتاج ، دون ان يخترها اي انتاج معين . ولذلك كان الفن ، وخاصة منه فن اللفظ ، هو نوع

ذلك الانتاج ، الذي لا يمكن ان يشيا ، أي يتجسد ضمن متوجات معينة . كما انه يظل يشير الى ينبوع خلقه .

ولكن ليس كل انتاج لفظي فني ، يمكن اعتباره عملا حضاريا . ان ادراك الايقاع الاعماق للحضارة ، لا يمكن ان يتأتى الا لبعض وجدانات ، تعد في التاريخ ولا تتجاوز عدد قمم نجيلة لجبال عمالقة .

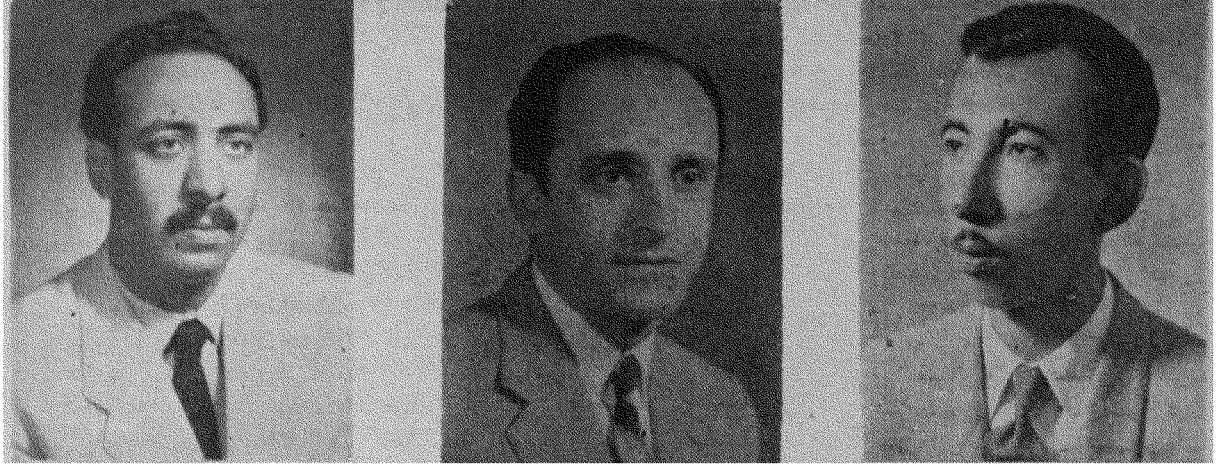
ولهذا نجد ان ( هيدجر ) ، رجل الاشارة الاول لايقاع الحضارة الحالية ، لا يمتح تفكيره الا من شاعر واحد ، هو ( هولدران ) . فهو يقول عن شعره انه ( يوجد ) ، بذات الصورة التي يقول فيها ، عن الكينونة المطلقة ، انها موجودة .

ولقد عبر الشعر العربي المعاصر عن وجوه كثيرة من حياتنا الثورية . ولكن تعبيره ذلك ، ظل مرتبطا بردود جزئية انفعالية ، لم تستطع ان تتجاوز الطرف الطارئ ، لتصل الى الشرط الوجودي ذاته ، الذي يبعث على انشاء هذا الطرف او ذلك . ولقد كان من المظاهر الطارئة تلك ، ما يفذي اذننا بالالفاظ الفخمة ، ويؤكد لنا شخصية فقاعية ، يعجبها التضخيم والتفخيم ، في كل ما يترأى لها انه مستحيل

التحقق في واقع من الذل المدروس المنظم . وكان لنا من الشعر هذا الذي انفصل عن تجربة الاقدمين ، ولكنه حافظ على اشكال تلك التجربة . فعاش غريبا عن عصرهم ، غريبا عن عصرنا . وكان لنا ، من المظاهر الطارئة ، تلك السوداوية الرومانسية التي تطاق في انساننا المعزول عن شرطه الثوري ، تطامن عزوفا جباناً ، وتبعية عاجزة للحلم ومشتقاته .

ولذلك ارضى هذا الشعر وشعراؤه ، الفئة المثقفة في فترة ما قبل الحرب العالمية الثانية ، واتناءها . وكانت هذه الطبقة من الضعف والانزلال بحيث يطيب لها ان تحول مشكلة وجودها وقيمتها ، الى مسألة عاطفية وهمية ، لا تقسرها على اتخاذ اي موقف جماعي . كما انها تعفيها من اية مسؤولية تكوينية ، تربط بالوضع الثوري الكامن

التحفز . ولذلك لم تجد هذه النزعة لها امكانية على الاستمرار ، الا عندما اصطنعت لها صورة ثورية ، في عهد لم تعد الثورية مجرد تحفز وقوة



صلاح عبد الصبور

خليل حاوي

بدر شاكر السياب

لرمز ( جيكور ) قرية الشاعر ، مهما حملها الوعي الدرامي من مؤثرات غيبية ، ان تتحول الى رمز العنين الى عهد البراءة الضائع من حياة الانسان المستعيد . فالصور الجزئية ، والتفاصيل التي يهرم بها خيال السياب الحسي ، تظل تمنع الفكر ، من انطلاقته الشمولية . وهو يود ان يحرص دائما على توفير المعنى في كل ظاهرة شعرية . بينما نجد هولدرن مثلا يقول « ما نحن الا اشارة لا معنى لها » . ان التمثال من اجل ايجاد المعنى ، من اجل الكشف عن حقيقة المصير الذي يختفي وراء النظر التراجمي ، المقطوع من اية ملحمة انسانية او حضارية ، هو الذي يمنح للعمل الشعري فعالية سمرديّة خاصة به وحده ، دون بقية الفنون . فالشعراء الملحميون الحديثون ، من ( نوفاليس ) الى ( هولدرن ) الى ( سان جون بيرس ) ، هم الذين يصفون لنا المأساة من داخل ، وذلك بالكشف الشمولي عن حقيقة التناقضات الحركية في صميم الوجود . ولكل شاعر ملحمي رؤياه من تدقيقه الحضارسي الخاص . ومن هنا جاء كون هذا الشاعر او ذاك يمثل لحظة حضارية معينة . ولنستمع الى ( هولدرن ) وهو يصف في احدى رسائله هذا المصدر الثر لكل تكوين ملحمي ، وهو الاحساس بالامحدودية . فيقول « ان العاصفة ، من حيث هي قدرة وصورة ، والضوء اذ يتلامح ويقب والتقاء مختلف عناصر الطبيعة في مكان ما ، بحيث ان كل امكنة الارض تجتمع حول مكان واحد ، فيحيط القبس الفلسفي بنافذتي ، كل هذا هو ما يصنع فرحي اليوم . »

والحق فان الشعر العربي غير الجاهلي ، قد اتجه اتجاهين لا جامع بينهما . اولهما تفصيلي جزئي ، يعتمد بوحدته على التداوي اللفظي او الصوري . وثانيهما كلي هيكلي ، له سمرديّة سكونية . وما كان يمكن ان يتلاقى التقيضان . وان يشأ عن تلاقيهما اي صراع جدلي في الوعي الشعري . وهكذا اجهضت المأساة والملحمة الحقيقية من تطور الشعر العربي . وفهمت الملحمة ، على انها تعداد لا يتناهي ، في كثرة من الابيات ، لموضوعة واحدة ذات تفاصيل ومنعطفات شعورية حدسية كثيرة .

فالعربي لم يحقق في شعره سوى هذا الاتجاه الثاني القائم على حس بالطلق ، ولكنه حس تاملي . وبالتالي فالطلق الذي يحوزه ، هو شيء سكوني غريب عن تفاعل الحياة الانسانية المباشرة . ولذلك كانت ملامحه وصفية ، او حكمية متقطعة النظرات . وهكذا عاش بين حلم الشاعر ، وبين نظرة الفيلسوف .

والثورة المعاصرة هي البيئة الطبيعية لولد الحس الأساوي الاطلافي بكل جدليته الحية ، غير التجريدية .

لفظية متباينة . ان اللاحاح السوري اللفظي ، ذلك اللاحاح الايقاعي المادي المباشر ، لا ينمي احساسا راهنا ليجمعه مطلقا ، ولكنه يضح حوله بالاف الاصداء ، ويرميه الى درجات لونية تائيرية متناووسة . انه يكرر احساسه بنغمات مختلفة . وهذا هو الندب ، ذو الترجمات المناسبة الامتتاهية .

ان عملية الندب ، هي هذا الجانب الراهن التاريخي للمأساة الثورية . وليس كهوقف السياب ، بغادر على استنبات الالهة العادية ، لسمفونية من الاسى المجهول .

ان شاعر ( اغنية المطر ) يمثل الصدى الفاجع لايقاع الربيع ، بعهد كل ضربة يحققها هذا الايقاع في ملحمة المصير الثوري . ولذلك كان نموذج السياب هو الثوري - الضحية ، هو الثوري المقتول ، المذبوح ، المضحى به من قبل اقدار الكوارث والنكبات التي حلت ببفداد ، هذه العاصمة للفاجعة الثورية ، التي لا تكاد تفصل مياه نهرها الكبير دماء الانسان ، المضحى به هناك دائما ، على ضفتيه الترتين .

ان نموذج الثوري ، الضحية ، يتابعنا في جميع قصائد الديوان الكبير للسياب ( انشودة المطر ) . وهو كثيرا ما نادى نفسه بالمشح . وهو كثيرا ما عاش مع تاريخية الثورة في المدينة . انه مع الاطفال والنساء والشيوخ ، كل رموز الضعف والجريمة . جريمة الاخرين ، هؤلاء الاخرين ، الذين لا بد منهم في كل ايقاع ندبي ، عند السياب . انهم في النهاية ، ليسوا سوى هيمنة القدر . القدر الشعبي ، العباسي ، الدرويشي ، التركي والتشري . والاحمر الحديث . ان ملحمة السياب فريسة لقدر ازلي سلفا . وهي لا تنمو ، ولكنها تنداح . وهي لا تقود ولا تحكم ، ولانتمس بذرة حضارية ذات مسؤولية معينة ، سوى انها دمة كبيرة فاجعية ، لها دجلتها من الانسحاق والاندياح المائي ذي الاتجاه الوحيد ، نحو الزوال ، في مصر الخضم المرعب .

ولهذا فان روعة السياب ، هي عندما تمده الصور النديبة ، ذات اللون الواحد ، والايقاع الواحد ، ذي الاتجاه التغمي المنفسح على وجه التيار ، تيار السكون ، مهما كان في اصله عارما نزقا . ولعل كل المظاهر الفاجعية ، لا تتحرك في وع السياب الشعري ، ضد بعضها ، لتلتحم ، وتخلق ازمة تكوينية . انها تؤلف على العكس ، باقة متاخية من الالام والمصائب .

ولذلك قلما استطعنا ان نكتشف ، حتى في اروع القصائد الملحمية ، روحا ملحمة بالمعنى الشمولي الكوني . ان الحركة المستقيمة ، والترداد في الاخيلة واللمحات الجانبية ، تظل مجمعة كلها ضمن حدس شعري درامي واحد ، تحاول ان تصعد الى مطلقها عبثا . فمثلا لا يمكن

ونحن على درب هذا الحس الأساوي تلاقينا بقمة السياب ، وما  
تحتفل من محاولات غنية فاتحة في هذا الميدان . ولكن نلتقي بشاعرية  
فذة اخرى ، قد استطاعت الى حد بعيد ان تقربنا من اللحظة  
الحضارية ، المنتظرة من الشعر .

ان ( خليل حاوي ) في ملحتمه الواحدة ، المتصلة من ( نهر الرماد )  
الى ( الناي والريح ) ديوانه الاخير (1) ، قد قدم لنا تجربة وعي قادرة  
على استيعاب هذه اللحظة الحضارية المنتظرة .

ان هذا الشاعر قد احس بموقفه من التجربة الثورية، من داخل .  
ولذلك فان ديوانيه ، يعتبران قصيدة ملحمة واحدة ، كل فقرة منها،  
بمشابه هئية نمو سبيري جديد ، في زمن واحد ، يحكمه شعور اطلاقي  
صارم ، هو البعث . ولهذا فان زمن هذا الشاعر هو لحظة حضارية .  
ولكن قبل ان نشرح هذا الزمن وماذا نعني به ، لننتحدث قليلا عن  
مختلف عناصر التراث السكوني التجزيئي الانفعالي ، الذي خاض  
الشاعر معركة التحرر منه . انه تراث القصيدة التقليدية المحنطة في  
عصر الشعوبية . وتراث الثورات الطفلية ، التي تحملتها القصيدة  
الحديثة ، السماة بالقصيدة الحرة . والحق فان الاعداد في التقنية  
الفنية ، ليس عملا مصطنعا ، معزولا عن كلية التجربة الابداعية . وان  
تقنية ( خليل حاوي ) هي ذاتها ، اساس نفسي وجودي ، يقع في القاع  
الاعمق من محاولة الشاعر لمعرفة موقفه الحضاري الابداعي .

ان ( ايضاح الرعب ) لم يعد مجرد احساس غامض بالمصير . انه  
اخذ يخلق شخصيته المادية ، ويفجر منها رموزه الخصبة اللامتناهية .

(1) صدر عن دار الطليعة في مطلع عام 1961 .

فلقد اتجه ( خليل حاوي ) ، بوعي ثقافي مسؤول ، نحو الشكل الحديث  
للقصيدة ، لا شعورا منه بالسهولة ، فلقد حملها اصعب الابعاء ذات  
الايقاعات الوزنية المعقدة . ولا اقبالا منه ، على ذلك الجبل الرخو  
لتداعي الافكار والصور والمريات ، من اين انت ، وكيفما هلت على  
خيال الشاعر . والواقع ان الشاعر الاصيل لا يحرق نفسه من هيكل  
القصيدة التقليدية ، الا ليفرض على ذاته قيودا اصعب ، ولكنها اجدر  
به ، لانها الصق يحركه الروحية ، ومسرته الاعطائي الرامز .

لقد كان بناء القصيدة الحرة عند ( خليل حاوي ) مشروع وحيدة  
سمفونية حقيقية : ليس من تفاهة في السر ، ولكن حركة متنامية في  
اتجاهات متباينة ، تجمع الموسيقى الاصلية ، عائلتها من الظلال اللونية  
الفرعية المطلوبة ، فتزيد الهيكل الايقاعي غنى وايحاء .

وليس من شرود في الالفاظ . بل تكاد كل كلمة ان تختصر القصيدة،  
وهي في مكانها الجزئي . انها منتقاة بحس اصطفائي ، وليس برصف  
قاموسي . ولا تسيطر على التركيب البنائي ، اية نزوة او انفصال  
طارء ، له حماسة المعتاد لدى اكثر من يجربون النظم من الشباب .  
فالمستوى الانفعالي ، منظم سلفا ، وهو مفيد دائما ، خلف خضم الحركة  
الشمولية للقصيدة ، انه يؤلف شغفا بتماوج بين انحناءات ذلك الفكر  
الشعري ، وهو يساعد من حركة ذروية الى حركة اخرى .

وليس من تبعث في القيادة القصيدية . فالغاية شاخصة دائما  
فوق كل توجج وصفي آني . ان الجزء لا يوجه الكل ، ولكنه يحققه .  
وبذلك فكما ان النتيجة في السمفونية شاخصة ، بلمحة من لمحاتها ،  
في كل نمو لحني ، وتشابك صرامي ، كذلك فان المال في القصيدة  
هنا ، ناتج عن ان كل نبة شعرية انما تؤول في لونها الخاصة ، الي  
هذا الاعطاء الشامل في النهاية .

ان القصيدة لا تمنع ، ولا تتخلع ، ولا باتنها حوشي الفكر او اللفظ،  
من كوة وهوة وعثرة طارئة . انها لا تخضع لمصير التقهيش الخارجي ،  
الذي اذل القصيدة الحرة بين ايد ساذجة ، مفرمة بالانحراف والشذوذ  
الاجوف المتفح . لقد حافظت قصيدة ( الناي والريح ) خاصة على  
جلال النظم القديم . ولكنه جلال لم ينحت نفسه من الفاظ او صيغ  
بلاغية . وانما استعاض عن ذلك ، ببلاغة المعنى الموسيقي ، بالنفحة  
المفكرة ، بالصورة ذات الترجيع اللانهائي . فالقصيدة في هذا الديوان  
لها وحدتها الجديدة . وهي لا تنبع فقط عن وحدة الامانة ، او وحدة  
البناء المثقف المرفه . ولكنها وحدة الموقف الملهم . والهامة هو اتصاله  
الرحماني بزمانه الحضاري . كل ذلك لان هذا الشعر ، المفاجيء في  
موسم الثرثرة والمعجمة ، يصلنا حقا بقيمة الموقف الفكري ، في  
جوهره كله .

★

ان الشاعر كف لاول مرة ، في ركبنا المعاصر ، عن الدون جوانية ،  
عن النرجسية ، عن العقد الجنسية ، عن قاموس وجودي مقلد سطحي،  
عن سطحات لفظية ، واخرى خرافية . كف عن العامة في الاحساس ،  
وعن البهلوانية في التركيب ، وعن المراهقة في المضمون العاطفي ، وعن  
اصطناع الشاذ والحوشي والابهام النرجسي . وفتح نفسه على تجربة  
العربي الانسان . وارتفع من فرديته الحيوانية ، الى فردية نموذجية .  
ولذلك تقمص كل احد من انداده . انه تلاقى معهم عند عقرب الساعة  
الفاصلة . في هذه اللحظة الحضارية ، التي لا تقول الا شيئا واحدا ،  
انها البعث .

ومن قصيدة ( البحار والدرويش ) في ديوانه السابق ( نهر الرماد ) ،  
ينبثق هذا النموذج من العربي الانسان . وتبدأ الحكاية . . من الداخل .  
ان مشكلة التكوين الانبمائي ، تتراجع ممزقة بين قرني احراج تاريخي لا  
يمكن تجاوزه . ان الشرق لم يعد يستطيع ان يعبر عن تراثه الا  
بالدروشة . انه كما يقول عن ذاته :

طرقات الارض مهما تتناهى

عند بابي تنتهي كل طريق ،

وبكوحى يستريح التوامان :

كارالمعارف لبنان ش.م.ل.

نبأية الصبلي - السور - من ب ٢٦٧٦ - تلفون ٢٣٥٧

تقديم كتاب الفيران المشرقة الا اعظم قصص الحضارات في العالم . وهذه الترجمة العربية لهذه القيمة العظيمة المنظمة  
تقدم لك انظارا اوسع من ذي قبل . يمد يدك الى عالم من الحكمة والحكمة . مصورا لك الصورة البلاغية في  
قريتها عند اللطيف اوتبعه التالفة عشر والعرضيات رشيد

المؤلفه الفقيهه واحسنها بها الروح  
قصه منيرة طارئة ومغامرة مشيرة  
حظوظها ساجدة

**الفيران المشرقة**

جزآن

تأليف  
الأكسندر درويش

من الجزأين الواحد  
١٠ قس . لت.  
او ما يطار لها

طلب من جميع المكتبات الشهيرة

الله ، والدهر السحيق ..

والغرب الذي قدم من القديم هاتين التجريبتين :

واذا بالارض جبلت تتلوى وتعاني

فورة الطين من ان لان

فورة كانت اثينا ثم روما

ولكن الشرق يقيم هذا :

وهج حمى حشرجت في صدر فساني

خلفت مطرحها بعض يثور

ورماد من نفايات الزمان

ولو عدنا الى التوازن في هذه القصيدة ، لرأينا انه توازن تقييمي شمولي ، ألزم نفسه الصياغة الشعرية ، والمنحى الحركي لها ، والتقابل الدرامي الرائع الذي يعاينه خط الانبعاث الانساني في وجودنا الثوري . ان التوازن قائم في هذا التضاد الزخم بين حركية البحار ، الطوف من خصم الى آخر ، ليفرق الموت ، بمعاناة اكبر خطر تلقاء كل موت . هذا البحار الذي يفضل التجربة على محاولة ( الحكم ) على اية تجربة . التضاد الزخم قائم بين حركية البحار ، هذه ، وبين دروشة النموذج التراثي للشرق : الدرويش : ( قبايع في مطرحي من الف الف ) .. هذه البساطة المباشرة التي اختصرت صورة حضارة . وان هذا الدرويش :

شرشت رجلاه في الوصل وبات

سكانا ، يمتص ما تنضحه الارض الموات ..

وتلقاء هذه الصورة المرتبطة بعدم الارض - والتي تشير الى انتحار فعالية الانشاء من الحضارة - تتوازن صورة اخرى تتعلق بعدم من الفراغ فوق :

هات خبّره عن كنوز سمهت

عينيك في الفيض العميق

اهناك حاجة ان نقول ما هي هذه الكنوز ؟!

ومن التوازن في المضمون بين طين موات في الشرق ، وطن محمي ، في الغرب ، تطلق حركية التضاد في تركيب ، هو المال ، الذي كانت تنمو نحوه كل صورة حركية سابقة :

- خلقتي ! ماتت بعيني منارات الطريق

خلني امض الى ما لست ادري

لن تغاوبني المواني النائيات

بعضها طين محمي

بعضها طين موات ..

.....

حتى يقول :

مبحر ماتت بعيني منارات الطريق

ماتت ذاك الضوء في عينيه مات

لا البطولات تنجيته .. ولا كل الصلاة .

ان اوليس اليونان ، وفاوست الجرمان ، ودراويش الشرق ، ليست حلولا حقيقية ، لمن يود الانبعاث المطلق . ان الانبعاث ليس تكرارا ، انه دعوة كبرى اولى للتخلي ، انه وجود لن يكون ابدا .

ومن هنا نجد المضمون الميتافيزيقي للقصائد الاخرى في الديوان الاول ، مثل « ليالي بيروت » و « نعش السكاري » حتى نبغ قصيدة « المجوس في اوربا » ، وهو مضمون يلتفت الى جهة الحاضر الانساني ، كما يتبدى تلقاء دعوة المطلق ، انه عالم الالاقمة . وفي « المجوس في اوربا » صورة رمزية كبرى ، تنطوي على مقارنة حضارية ثرية . فالبحت عن المغارة ، عن مسيح الصليب ، قد تحول الى واد ذاتي في كهوف علب الليل ، وذلك في عيد ميلاد ، بالمدينة النموذج ، عن حضارة الغرب : باريس :

واهتدينا بسراج احمر الضوء لباب

حفرت فيه عبارة :

« جنة الارض ! هنا لاجية تقوي ،

ولا ديان يرمي بالحجارة

ها هنا الورد بلا شوك

هنا العربي طهاره .. »

أوليس للعربي ، ان يتلقى صدمة الانبعاث الاولى من جسده ، وعلى جسده . اليس له ان يحس بحقيقة الارض والدم ، دون شيطان او اله :

اخلعوا هذي الوجوه المستعاره

سلخت من جلد حرياء كرية ،

نحن لم نخلع ولم نلبس وجوه

نحن من بيروت ، ماساة ، ولدنا

بوجوه وعقول مستعاره ..

تولد الفكرة في « السوق » بغيا

ثم تقضي العمر في لفق البكاره

ان وجود الجسد ، هو وسيلة الاتصال بالارض . انه كما يقول

« ميرلوبونتي » دليلا الوحيد على اننا موجودون ، ومع ذلك كم ضلنا

هذا الدليل ، وتفنن انسان الشرق خاصة بتحويل هذا الجسد السى

صنم من ملح وكبريت ، وأحاطه بكل هالة من الحرام ، ليمنعه من ان

يكون اله ذاته .

هكذا تأتي صرخة تقييمية اخرى لاحساس الانحلال في حضارة

الرب :

يا الها هاربا من سرعة الشمس

ومن رعب اليقين

يتخفى في المضاره :

في كهوف العالم السفلي

من ارض الحضاره .

اولسنا بحاجة اذن الى اعادة النظر في معيار الحقيقة والخير والجمال

في تفكيرنا الذهني ، وفي وجودنا الحضاري . اولسنا نشور من موقف

ميتافيزيقي . ذلك هو العصر الحي على مصدر كل اشكال صهيبي ، في

## ماذا تقرأ هذا الشهر؟

دار العلم للملايين ترفر عليك عنا الاخبار

فتقدم اليك أحدث إنتاجها :

للاستاذ جريس القموس

عبرية شكسبير

لهنريش مان

الملاك الازرق

ترجمة الاستاذ خيرات البيضاوي

للاستاذ عارف العارف

النكبة في صور

للدكتور عبدالله عبد الدائم

الجيل العربي الجديد

لجاءك لندن وترجمة الاستاذ منير بعلبكي

العقب الحديدية

لليونارد فرانك وترجمة الاستاذ منير بعلبكي

موت الاعزب

لمسيدة سلمى الحفار الكزبري

نساء متفوقات

عقدة البعث والموت من سمفونيتنا الثورية .

هذا هو تجسيد اليبوسة . انها الارض الموات تحت الجليد ، وقد جفت عروقها . ولكن القصيد الفني ، لايلقي حكما ، انه يصور لنا تفاعل الخصب والجذب . ويحاول ان يبطن في وعينا ، حس التعارض الدموي بين ارادة الخلق وبين امتناع مادة الخلق عن التشكل . واذا بالقصد يتحول الى صلاة وثنية جانفة ظامئة ، عريانة ، تتمزق شبقا ورغبة بالمطءاء الدامي :

(( يا اله الخصب يابعلا

بعض التربة العاقر ،

ياشمس الحصيد

يا الها ينفض القبر ،

ويا فصحا مجيد ،

انت يانهوز ياشمس الحصيد ،

نجننا ، نج عروق الارض من عقم مييد

ولكن المفتاح ضائع من ابواب المابد الجليدية المظلمة ، انها مفلقة دون ارادة الفتح ، دون هذا العرييد الجليد الذي سيحطم لعنة الذل في طقوسنا المريرة :

فلنعان من جحيم النار

مايمنحنا البعث اليقيننا :

أما تنفض عنها عن التاريخ ،

واللعنة ، والقيب الحزينا ،

تنفض الامس المهينا ،

ثم تحيا حرة خضراء في الفجر الجديد

من ضفاف (( الكنج )) للاردن المنيل

تصلي وتعيد :

يا اله الخصب ، يانهوز ، ياشمس الحصيد

بارك الارض التي تعطي رجلا

اقوباء الصلب ، نسلا لايبيد

يرنون الارض للدهر الايبد

لم اقرا أبسط واعمق من معاناة هذه التجربة الانبعاثية . ان معاني الفكر الثوري ، تتوهج هكذا ، بأصالة ذهبية ، على حجر المعاناة ، التي تختصر التاريخ ، وتبعث الوثنية الانسانية ، وتلد الحقيقة الطفلة . ان الشاعر يتابع ضراعتنه الخالقة ، في قصيدة تلو قصيدة . وهو فسي (( حب وجلجلة )) يسبك لنا فجره الخاص من معدن الذكرى لامجاد امة ميتافيزيقية ، لابد ان تبعث سمراء جديدة :

أترى يولد من حبي لاطفالي

وحبي للحياة

فارس يمتشق البرق على الفول

على التنين ، ماذا هل تعود المعجزات ؟

بدوي ، ضرب القيصر بالفرس

وطفل ناصرهم وحفاة

روضوا الوحش بروما ، سجبوا

الانياب من فك الطفلة

رب ماذا

رب ماذا

هل تعود المعجزات ؟

ولا شك ان حقيقة الانبعاث ، تحتل عمقا غيبيا ، نوعا من اليقين بالخارق والمعجز والقذري ، تصنمه حركة انفصام داخلية عنيفة :

اين من يفني ويعيد

يتولى خلق فرخ النسر

- التتمة على الصفحة ٧٠ -

## الى مدراء المعاهد والمدارس والمؤسسات

# مكتبة لبنان

بيروت - ساحة رياض الصلح

تعلن عن استعدادها لتزويدهم بجميع ما يحتاجون اليه من كتب انكليزية وفرنسية وعربية،  
مدرسية وادبية وعلمية ، وكل المعلومات الضرورية واللوائح والفهارس .

ويسر مكتبة لبنان ان تستقبلهم لدى زيارتهم للعاصمة اللبنانية لتقدم  
لهم جميع الخدمات والتسهيلات

## اللحظة الحضارية والشعر

— تنمة المشور على الصفحة ١٤ —

من نسل العبيد

انكر الطفل اباة ، امه

ليس فيه منهما شبه بعيد !

ان اقوى قوة يشتقها الانبعاثي من ذاته ، هو ارادة الانسلاخ هذه .  
ان حركة — نحو ، لانثبت الا من حركة — ضد . وهذا هو منطق الخلق  
الداخلي ، منطق الرحم ، الذي يبني بدمه وجنسه والامه ، ماسوف  
ينفصل عن لحمه وعروقه .

يعبرون الجسر في الصبح خفافا

اضلمي امتدت لهم جسرا وطيد

من كهوف الشرق ، من مستنقع الشرق

السى الشرق الجديد

اضلمي امتدت لهم جسرا وطيد .

هكذا تعود للشاعر ، صفة القيم على طقوس الخلق الداخلية في ذات  
شعبه . ومع هذا فان الشاعر يحس ثابته بالوحدة ، بعد تحقيق البعث  
والثوري ، هو ذلك الفرد ، الذي لن يطمح بفرح حقيقي ، الا للاخرين .  
وفي نهاية هذه القصيدة ، ترجع تركيبي رائع للحظة الاحساس بالمصير  
المبهم . فان ثمة اخطارا عنيفة يتوجها وجدان الشاعر ، وهو يتطلع الى  
قدر البعث . فلا يملك الا ان يسكت اليوم ، وان يذكر زاد التاريخ ،  
وانداده الابطال ، وهم يعدون عيد الجمر والخمر ، ليقضي على كسل  
جذب وتلج ، ومعاد للتلج .

في كل قصيدة ، اشفاف سحيق عن منهج مدروس . ولكن العقل لابهية  
ولا يرسم ، وانما يظل رديفا للمتح الذاتي ، للتوتر الوجودي . ولذلك  
فان المنهج عند شاعرنا هذا ، هو اشبه بنمو الكائن الحي ، من مصوره  
الاصلي ، من الرثيم . انه نمو من الداخل . يحمل التوازن الذاتي ،  
بفضل وحدة الحركة التراجيدية ، التي تجعل من ذات الشاعر الفردية،  
وذاات المصير شيئا واحدا . وهنا يندمج الخلق الفني بيقظة رائعة  
للفكر . وتتفاعل الثقافة بالعمارة ، لتنتج لدينا عملا ، اسمه عمل حضاري .

✱

غير ان منحى اخر ينشق امامنا في ديوان « الناي والريح » . ان  
ماكان همهمة ونبرة وجنينا ، في تجربة التكامل الابداعي ، بين الحس  
الحضاري والفن التعبيري الناضج ، قد اصبح في « الناي والريح »  
رسالة ميتافيزيقية شاملة . فالالفاظ البتكرة ، والانغام الاساسية ،  
وحركات النمو المختلفة ، تتعاقب كلها ، لتشع بموسيقى المعنى ، ببيان  
الزخم الميتافيزيقي الذي اصبح نموذج الشاعر يحملها لروحها ، ولما تبعد  
هذه الروح .

ليس هناك نزعة نحو عبادة اللفظ المباشر . وليس هناك جاذبية عمياء  
نحو زوابع من الصور الفوضى . وليس هناك اصطناع للقيم والصفات،  
والزحف نحو سلطان مستنقعية ، من التكرار والاجترار .

ان منهجية القصيدة ، عند الحاوي ، تلنصق اكثر فاكثر ، برسالة  
للوحد الثوري العميق . فهي لاتليس الافاق الفكرية الرائعة الا حلتها  
الاقرب من التجسيد الارضي المباشر . ان « خليل » يقدم لنا تجربة  
الانبعاث ، في فيض الصور المعسوبة العذراء . وقد بلغ الوحي المنهجي،  
في القصائد الاربعة للديوان الجديد ، ذروة ، فلما احسست بها لشاعر  
عربي ، من جنينا البدع . فلقد تحققت هذه الامنية لثقافتنا الجديدة .

وهي ان تبدل عفوية عامية ، بعفوية واعية . ان تبدل عفوية «  
اللفظي والتلقى الخيالي ، والاقام حسب الفراية والنشور ، بعفوية  
من يريد ان يخلق حقيقة وفنا معا . من يود ان يجعل من نموذجيه  
الفردية ، شخصية مسؤولة عن وجدان يتكون ، في لحظة حضارية لنا،

لحظة الانبعاث . وهذا مايجعل القصيد الحديث ، يشرع بلإافة جديد .  
وانها بلافة تتجاوز فنون اللفظ ، لتستوعب من خلفها تجربة انسانية  
تاريخية ..

انها امالنا التي كنا نضعها في الشعر عندما يثور . وان « خليل  
حاوي » يؤكد لنا طريق هذه الامال . انه يخلصنا من المسوخ والصناع  
ومروجي الكذب في دنيا الابداع والمسؤولية .

انه وبضعة افراد قلائل من قافلته ، يرسمون خط الافق لنا ، بتواضع  
من يعلم عبء التبشير بما لايريد التاريخ نفسه ان يذيمه دفعة واحدة،  
عن ابدية الجنين الجديدة .

هذا هو مدخل لا بد منه امام اربع قصائد في « الناي والريح » . ان  
الشاعر يحاول ان يعيد النظر في موقفه ، الشمولي ذلك ، قبل ان يلج  
ديوانه الحقيقي . فهو في القصيدة الاولى ، يتساءل عن نموذج الانسان  
الذي عليه ان يحققه . وفي القصيدة الثانية « الناي والريح » يبحث  
عن حقيقة ماسيبوح به من شعر ورسالة معا . فكان المقياس الحقيقي اولا  
هو ان يختار الشاعر انسانه ، ثم يختار شعره . ومن هنا تتحد دائما  
الحقيقة مع الفن ، في رؤيا جمالية وجودية معا .

ومن خلال موضوع شعبي ، وطقس خرافي ، هو « البصارة » والتنجم  
قدم لنا الشاعر قصة هذا الاختيار بين الانسان الحق والانسان الهجين،  
بين مشروعية وجود ، وكذب وجود اخر . فاذا بلغة التجريد كلها ، تحيا  
من خلال احساسيس واصداء الوان ، وباقات انفعالات ، تجعل افدح مشكلة  
عصرية ميتافيزيقية ، تعرض ذاتها بلين ويسر حكاية في احدى صوامع  
الجبل الاسم . ان العصر ، يعرض علينا مجددا قضية : ان اكون اولا اكون .  
وما اسهل ان يسترخي انسان هذا العصر ، وان يلجا الى المستنقع وان  
يميش لونا واحدا ، رتابة لا نهائية :

اراك شرشت هنا

في ضفة المستنقع البهيج

اراك تمتص عصير العفن المعجون بالوحول

تمتصك الوحول

اراك تستحيل

لشجرة مسمومة ، ثم لتمساح عتيق

ولا شك ان اتحاد الصورة والحركة النامية ، والاقتران المتجانس بين  
فكرة المستنقع ، والبهجة ، التي يولدها الكسل والنخدر ، هذا الصمم  
عن دعوة الايقاع ، عن نداء الاصالة والانبعاث ، وبين فكرة العفن الذي  
تحول الى عصير ، القدم المعتق الملل « بالوحول » .. وماذا يمكن ان  
يؤدي هذا التهجين ، الا الى المسخ اليومي الذي يملأ شوارعنا ومقاهينا  
ومكاتبنا :

شجرة مسمومة ، وتمساح عتيق !

وبكاد ان يخون الحقيقة ، وان يقترع المرآة ، المرآة دائما رمز لكسل  
فجيعة :

رائحة الانثى ، التي تثن عينها لمن تراه

او هناك الصق من هذه الصورة التقييمية لنموذج اللل الجنسي : المينان  
تثنان لمن تراه !

وتتصاعد الحركة ، ثم تنخفض ، لتقدم لنا ترجيعا اخيرا ضد الا ااصالة:  
وذاات ليل سقتها للنهر

انت ، ركمت ، همت بها يدك

ثم ارتخت يدك .

او ان هناك مصيرا اخر ، غير الشجرة المسمومة والتمساح . انه  
مصير الساحر :

بروض الالفي ، ويمشي حاليا

يمشي على الحجر ، على الابره

يجن في اسنانه الزجاج والحجر .

والساحر ، مهرج ، حزين ، يخدع الآخرين ، ولا يخدع نفسه . واذا  
بانسان الصحراء ثانية يتولد فيه ، وقد شاع ملء وريده خمر الشمس،  
وتحولت عروقه الى شجرة بهار . والصور كلها توحى بالنار والخمب :

دمي يحيل العفن الجاري  
 نريات من العافية الخضراء والثمار .  
 ان البصارة ، وهالة الغيب حولها ، البصارة وما تنطوي فيه على  
 تراث القدر واللعب بالرمل :  
 اصبعها القوس العتيق  
 ضوء عصا بيضاء في عتمتي  
 يمسح من جبهتي  
 زوبعة الشك التي تمصها  
 الاصداء والبروق .

هذه التبعية لطقوس التراث قد انهارت امام دفقة البركان الاصيل، الذي  
 يتصاعد بحقيقة الانسان الانبعاثي :  
 من احرص الاصداء والبروق  
 من احرق المتعة والظنون  
 كانها من قبل ماكانت ولن تكون  
 اضحك من بصارة الحسي  
 وما لفق جن ساخر لعين .

وكاني انشودة « الناي والريح » وفيها ملحمة الشاعر الكبرى مع  
 خلفه وقيمته الاخيرة . انه في حركته نحو الانفصام عن رموز تراثه الراكد  
 الاب والام ، وعن وجائب يومية : الكتب والصومعة ، يحيا لاشراقة اللفظة  
 الاصلية . تلك العذراء المنشودة ، الضائعة من اي معبد سحري ، الخادعة  
 لكل فؤاد به خطر الدم ، وعرشة الهجنة :  
 دربي الى البدوية السمراء  
 واحات العجين البكر  
 والفجوات ، ادوية الهجير ،  
 وزوابع الرمل المرير  
 تمصى وليس يروضها  
 غير الذي يتقمص الجمل الصبور

في البدء كانت الكلمة . ووجود الكلمة الحق مقترن بوجود الانسان  
 الحق . والعربي الجاهلي ، هو ذلك الذي حققت كلماته فروسيية  
 احلامه ، على الارض ، وفي اعماق الانسان ، قيما ومعاني واحساسا  
 شاقا بالخلق والحياة ، على مستوى اللسان ، على مستوى اليد . تلك  
 هي انشودة الشاعر الحضاري . ولو تابعنا هذه القصيدة الفريدة ، لراينا  
 كيف يغازل الشاعر هذه البدوية السمراء ، كيف يشخص مولد الكلمة،  
 زيفانها ، ترددها عن التكون « ولربما اصطادات بروقا في دهاليزي ، تمر  
 وما اعني ، وبدون ان املني الحروف وادعي ، تحنو ، تدور ، تزوغ زوبعة  
 طروب ، وارى الرياح تسيح ، تتبع ، من يديها » وهكذا حتى تصبغ  
 الكلمة تابعة لاشارة الشاعر ، يخلق بها ويكون ، ومن اتحاده بالارض  
 والرمل ، تولد الريح ، ويلمع البرق ، ويخصب انسان الدم ، هذا الذي  
 له شروش السندبان ، عروق السندبان ، مثل كلمته الكائنة المكونة .

ولكن لاثبت ان تروعه صورة « الطاووس » ، رمز لكل شاعر مفساج  
 مدع ، يشكو من المهزلة في صلب تكوينه . وبدور الترجيع ، فيعطينا  
 الشاعر نكسة اخرى نحو الناسك ، الذي يمسك وجوده عن الوجود ،  
 ولسانه عن الشعر والحقيقة ، ويموت ضحية « صمته الاجوف » . اولى  
 مهرجان المسافر ، في العالم الخارجي ، منعقدا حول كل رقااص وطاووس  
 ومهرج . وليس سوق الادب ، اسيرة لاتفه عملة : المراهقون ، وتجسار  
 الجنس ، واجراء المدايح والقدايح ، وعوام الكتاب ، وبني الحرف والنبرة  
 والجوف المتخوم بالقدر ، بالحقن الصلوكي ، بالكره القرصي لكل ذروة  
 وعمقته .

لقد اعطى خليل حاوي في « الناي والريح » مراثية كاملة لواقع الخلق  
 الادبي ، ومن ورائه واقع التاصيل الانساني . انه نظم قصيدة الفنان  
 والاديب والمفكر ، نبي هذا العصر المتلاطم . وحاول ان يقيم ماساة اصالته  
 وسط احلك المسافر :

الناسك المخلول في رأسي  
 يشد قواه ، ينهزني ، افيق :

بيني ، وبين الباب  
 صحراء من الورق العتيق وخلفها  
 واد من الورق العتيق وخلفها  
 عمر من الورق العتيق .  
 وكما قال هولدرن في احدي قصائده :  
 يا اصدقائي ، لقد اتينا متأخرين جدا  
 ماذا ينفع الشعراء في زمن المحنة  
 ولكن اعلموا ، انهم هم كهان اله الكرمه  
 يتيهون من بلد الى بلد في الليل المقدس .

ان الحرف والورقة ، اذا اصابهما النحس ، فلن يكون ذلك الا بسبب  
 الايدي الفذرة التي تندسهما بقيء نفوس عاجزة ، الا عن الكذب ، والحقد  
 على الصادقين المبدعين . ومع ذلك فلو كان الطريق الى خلف ، مسدودا  
 بورق ، والطريق الى امام ، مسدودا بورق كذلك ، الا ان ورقة حية  
 واحدة ، تستطيع ان تحرق ركام الورق الميت المدسوس على اولسب  
 المبدعين . . ان غابة من الخريف هي التي تبشر بغابة من الربيع . وهكذا  
 يتحول الورق الاصفر الى سماء لموسم الزهر والنور .

✱

ويختار الشاعر ان يقول الشعر ، ان يرمي بكلمته ، ان يرفع جبهته .  
 بين الدهماء ، وان ينطلق على طعام صومعته . وكيف يمكنه ان يصمت  
 والزمن زمن البعث ، والبعث يفترض الزيف والكذب والفساد من العظم،  
 قبل ان يبشر بالحريق العظيم : « ابنتها القصيدة ، اخناه العظيمة ، فلينبش  
 تشيدك من الاعماق ، انني انصت اليك ، وهذا انا من يحكي ! »  
 ان الشعر العظيم ، يتحد بالميتافيزيقا المطلقة ، لان كلا منهما باعث  
 للحرية الكبرى . ان فكرا يحلل الحياة ، يحتاج الى حياة حقيقية ، كما  
 يزهر فوقها عالمه اللانهائي . فالنجوم المجوهرة ، لاتنفذ الا في جو من  
 الصفاء الواحش ، هذا هو كهف المسيح الجديد .

والايقاع يضرب ضرباته الفاصلة من الصميم . والشاعر يبحر الى  
 وطن الضباب والغربة . وينفمس مع الفجر ، وفي خنادق الحس العرييد .  
 واذا بوجوه جديدة للسندباد ، تظفي على وجه اسمر ، يفخسر بتخفير  
 الزمان والنظرة السندبانية ، في جبل اعلى ، على شاطئ من مسوج  
 الشمس والملح ، والجلد الاسمر .

« العربي في الغربة » ، في اوربا ، اغنى رمز ، واشد موضوعة  
 ملتصقة بلحمة البعث . كتب عنها الكثيرون . ولكن « وجوه السندباد »  
 اعطت المال الاساري . انها مشفوعة ببيمنة المطلق الحضاري . لذلك  
 نطقت بما لم تنطق به اية شفة ، مشلولة بالقلبة المباشرة ، البقي في  
 علب الليل ، وعواصم اوربا ، والجهد الانساني المنسحب ، الى علب الليل  
 ليواجه ضميره الاخير .

والشاعر النبي ، يرحل رحلته الجديدة بين اوثان المصد الاي الكبير .  
 وهناك ارواح الربضة ، الواجفة من نظرة نور ، استبدلت نفسها  
 بالايدي ، التي تأخذ اجرة عن كل صلاة ، والتي تعرف ان للكرة خلف  
 جبين ، وللعرشة خلف ساق ، وللمحنة في غرفة فنان ، لكل هذا ، تعرف  
 ان له ثمنا . والتمن هو الوعي . وعي الحضارة لعظمتها واندحارها . ان  
 اشبنجر ، اله الانحلال العظيم ، لم يرض لحضارته ان تموت . تنبأ  
 لها بالموت . تنبأ لها بالبعث . وانتظر معجزة من جهة ما من الارض .  
 واما « توينبي » فان البعث ، حدده ، بوظيفة الوعي . ان الميت ، لو يعي  
 انه يموت ، لاستطاع ان يجد بعثه . هذه هي القضية الاخيرة في المنطق  
 الارسطي ، وفي فكرة عن « الامر المطلق » عند « كنت » ، وفي صرخة  
 لحرية ملحدة ، عند سارتر .

يعود الشاعر العربي ، لعمل الوعي والتقييم ، من داخل صومعته  
 الطالب ، في بلد الضباب « وجهه من حجر ، بين وجوه من حجر » .  
 ولكن الحمى ، حمى الشاعر ، والدعوة المجهولة ، ودفتا مع ساق وكاس  
 وزاوية من الفياع ، في شوارع من عواصم العبقريات الذليلة . . كل  
 صورة ، مردفة بمعناها ، مردفة باحساسها الوجودي ، بتقييمها الحضاري .  
 خليل لايكاد ينسى نفسا او شبقا ، او انحلالا ، او مهريا ما ، بدون ان

ان انتظار المفاجأة خلف ستار ، ترقب الظل فوق جسر « واترلو » ، دعوة الفياض في منطف ، كل هذه قد عوضت ، عن تراث الصليب والقبر ، والولي ، وحلقات الدراويش . هناك صوت نحو الارض والدم والشيطان . وهذا حرص ، لا بد ان يحويه البعث ! لانه لا بد ان يخلق فيه ويتجاوزه ! هكذا عبرت فنوننا الحديثة كلها عنه .

★

واما « السندياد في رحلته الثامنة » فهي الابية الكاملة الاخيرة التي يهتدي اليها زمن الضياع والبداد . انها الساعة الفاصلة ، التي تقدم لنا الاحساس الميتافيزيقي للحظة حضارية انبعائية .

لقد استطاعت للمحات الاولى ، الاشارات ، والايحاءات العابرة ، التي حفلت بها ملحمة اليقظة الكبرى ، عند شاعر من لبنان ، من عنق صخرة وغيب كنيسة في ذروة من ذراه ، هذه الترددات الاصيلية التي حركت روحية الملحمة ، منذ اول بيت في الديوان الاول ، اجتمعت ، وتآلفت اليها الدرامي الكامل في قصيدة « السندياد » .

وهنا لا بد ان يفوس وعي الشاعر الى الشرط الميتافيزيقي لوحدة الخلق وليس من وحدة ، الا في اعماق حضارة بكر ، عاشت معانيها في الوجدان ولم تر مؤسسائها النور بعد . هذه هي النبوءة الاخيرة ، تتصاعد من معبد اساسه القرن العشرون ، ومن طقوس ، كلها عري ، وتخل شاق ، واغتسال اصيل ، من درن كل اذلال معتق في عروق العربي الانسان . وانه لا ذلال ، يبدأ من مستوى جنسي ، شارعي ، خليفي ، ليبلغ مستوى الحيوان التي تحمل وصايا عليا .

ان السندياد متناصل في وطن هو غريب عنه ، متناصل في مناي من البحار ، هو وطني فيه . ومن هذه الصورة الاولى الديالكتيكية ، تنمو بنية الحركة الفنية ، الشمولية معا ، لتخلق لنا عملا وجوديا نموذجيا . والقدم ، هذا الفبار الذي نبث على عتبة الفرفة . انه يوحي برحلة جديدة ، فمن هو السندياد اذن ؟ ان القصص الشعبي ، يقدمه لنا على انه تاجر ، يرحل الى البلاد البعيدة ، لينقل التحف والعجائب الى ارباب بغداد . ولكن هذا التاجر ، لا يلبث حتى ينسى الثروة ، والرحلة من اجل الثروة ، ويستهو به السفر كفاية في حد ذاته ، حتى يتحول الى مكتشف جغرافي ، في عالم خرافي .

ومثل هذه الاسطورة اصبحت مالوفة لدى بعض الشعراء المجددين من الشباب . الا ان احدا لم يخطر بباله ، ان يضيف « رحلة ثامنة » الى رحلات السندياد . وان يحملها ثوبا الكشف الجديد ، كشف هذه الجزيرة الخيفة ، التي تضج بالحديد والدخان ، وتتحوّل الوحوش والجبان والعمالقة ، الى مخترعات هائلة ، انها جزيرة القرن العشرين ، ملك الحضارات الاخرى . وفي هذه الجزيرة لا بد ان يرفع التاجر التائه القديم ، علمه ، على اعلى ذروة فيها . وبذلك تبعث الاسطورة ثانية ، ولكن تبعث هذه المرة لكي تتحقق .

ان فن الشاعر ، في هذه الملحمة ، يتحد مع اعرق مضمون ثقافي قومي ، ويتجه الى ابعاد غور ميتافيزيكية ، تقوم عليه مشكلة الوجود العربي . ومن هنا كان لا بد للشاعر من ان يحيى جميع رموز الحضارة السحرية ، من طقوسها العقائدية ، وملاحمها الجنسية ، ومحرماتها ، وغيباتها المعقدة . وان يبعث صورة تلو صورة ، لكي يشخص لنا شعرا ، مناساة تاريخ ، صلبته عقائده ، واقتربته غرائزه ، وطوحت به غيباته . حتى اصبح لزاما على سندياد العصر ان يحيى تراجيديا الرفض ، بكل عنفها وقسوتها . ان عليه ان يفنسل من الغازات والبوار ودهن الجنس ، وعفن الاطرافة نحو الاسفل من كل شيء .

والقطع الثاني من القصيدة ، يحاول ان يبرز هذا الرمز المصرج بالدم . فيجمع بين طقوس العبادة والتضحية ، وبين طقس افتراق العذارى ، وبين « عرس الدم » للوركا في اسبانيا ، و « ديك الجن » في حماء السذي قتل جاريته غيرة عليها . ان التداوي المبدع هذا ، لا يطرنا بالصور عبثا ، ولكنه يكشف عن حلقة الدور الفاسد ، الذي يربط حراما باباحية مقنعة ، ويربط بين اعلى الماني ، واقبيتها السرية ، بين فخذي امرأة ، على عنق امرأة ، في سيف رجل .

يشنقه فوق نفسه . انه يحيا اعماق السام واللاوعي والعريضة الالهية ، ولكنه يجعل فوقها دائما ضوءا واحدا : وجهه الاسمر ، وتحفير الزمان فيه تلك التجربة التي لم يخاطر بها صفاري تقليدي عربي ، الا وتحست الاموي ، وسادية « السفاح » ، والقرصنة الجنسية عند « ابي النواس » ، الى جريم العربي ، وعينيه الطفانين بين اعظم حشر ارضي شقي فنان . تلك التجربة التي لم يخاطر بها صفاري تقليدي عربي ، الا تحست هيمنة الحرام والحلال ، والاية ، التي تبرر كل شيء ، لمجرد الايقاع والاحساس الفني باللفظ ، والتنظيم الجسدي العظيم ، لكل فكسة شمطاء عن الاتحاد الكلي ، عن طريق الفرائز الاولى اللاوعي . اليست تلك ثقافة غريبة لجنسية ميتافيزيكية ، لحضارة الجسد والجسد والجسد . ولكن العربي ، الفاسق ، النبعث ، الا اخلاقي ، التمرد الصاحب ، يطمح اليوم الى فلسفة جسدية مباشرة لاعلاقة لها بالهة وشياطين ، وجنة ونار . ان الاصبع فوق رأسه ، ينبغي ان تقطع ، ان الشوق لمناقسة الوجود ثانية ، ينبغي ان تبدأ من عنق فحولة فوق انوثة امرأة ، لا محدودة الشبق .

هذا هو سر دموي ، للدعوة الى القبو ، الى العيش في الظل ، الى اختراع فلسفة الزاوية تلقاء عملاقة العالم ، الى السوط - يهوي ، هذه المرة ، على جسد المطلق ، وتفرق من السوط ، الاف الصرخات ، كما يتحطم كل ققم . نحن لا نريد ماردا ، وشاطر حسن ، وعلاء دين ، ولكننا نود اشبنجلر وسارتر وضوءا احمر فوق فوهة ، عميقة الظل في الارض ، عميقة الحس بالارض ، الهة مرعبة ، من اعماق دنيا الشياطين والجبان . ان الالهة ، اصبح موطنهم موطن الشياطين الاوائل القدامى . تعلموا من هناك لعبة جديدة . انها الانطلاق الى سطح الارض ، على شكل جسد ، بندقية ، كتاب ، عاهرة ، عالم ، قائد ، تلفزيون ، ومشتقات كثيرة للعمل الجنسي ، تلقاء جسد وحديد ، جسد وحركة تكويبية ، جسد وعبارة مجسمة بمعمل ودولة وعلم .

## مكتبة النهضة

للطباعة والنشر والتوزيع  
لصاحبها عبد الرحمن حسني حياوي

■ اول مؤسسة عراقية تعنى بشعر الثقافة العربية  
■ وتخرج المؤلفات والانار العراقية اخرجا انيقا  
■ يضاهي ارقى المنشورات في البلاد العربية  
■ وكيلا دور النشر اللبنانية التالية :

دار العلم للملايين  
دار المعارف بلبنان  
دار مكتبة الحياة  
دار الروائع

■ ولديها جميع منشورات الدور الاخرى في لبنان  
والبلاد العربية

■ زيارة واحدة لمكتبة النهضة تفنيكم عن زيارة  
عشرات المكتبات

بغداد - شارع المنبي  
تلفون ٧٦٨٩



## دار الاداب تقدم:

رواية جان بول سارتر الرائعة

# دروب الحريية

صدر الجزء الاول:

سن الرشد

في الشهر القادم

يصدر الجزء الثاني

وقف التمهيد

اضخم رواية كتبها المفكر الوجودي العالمي

نقلا عن الفرنسية

الدكتور سميل ويس

المصير اصبح قابلا للتحقق ، على الاقل بالنسبة لبضعة افراد ، هم القواد الحقيقيون لحياتنا الجديدة من داخل .  
ان « خليل » لا يؤكد لنا الثورة ، ولكنه يحقق اخطر جزء منها ، وهو ثورية الوجدان الابداعي ، وقد وعى قصة حضارته من صميمها .  
ولحظة التصفية ، ليست هي سوى لحظة الخلق ايضا . فما اروع اذن هذه الزنيقة الرشيقية ، هذه البالينا البيضاء ، وهي تثبت من اضخم قبر واعمه ، لتنتشق الى اصفى سماء ، وبارشق لحن !

★

قلما انتصرت ثورية هذه اللحظة الحضارية ، في حقول سياسية واجتماعية وابداعية ، مثلما انتصرت في الشعر ، شعر بضعة افراد مثل عبد الصبور والسياب ، و خليل حاوي . ولكن ملحمة من « نهر الرماد » الى « الناي والريح » تمهد لنا الطريق نحو ملحمة وجودنا الانبعاثي الحقيقي ، بعد هذا الوعي الشعري الشمولي ، الذي رجح به سنداننا الجديد ، من رحلته الثامنة (X) .

مطاع صفدي

دمشق

(★) هذه الدراسة من كتاب « الثوري والعربي الثوري » السدي

يصدر هذا الشهر .

وهكذا يتمتق التراث ، ويتحول الى تربية صامتة ، نجرعها من غسل الخليفة ، يوقهوه « البشير » ، من الخليفة الموحد الى الامراء المرفقين . ولكن مايلبت ان ينشق الظلام عن عاصفة من الاعماق ، عن زلزال حاسد شيطاني ، ضد مابناه الشيطان ، من « سدوم » المنعنة ، بالجن والرزانة والتقوى العانس :

لعلها الفيوية البيضاء والمعيق

شدا عروقي لمرق الارض

تحت الكفن الابيض درعا

تحت يختم الربيع

نبض الزنيق فيه

اعشب قلبي

والشرع الفض والجناح

وتشرق الرؤيا من اعماق القلب ، امام العيون المظلمة . وتنبعث الحلوة البريئة ، الجريئة ، التي تحب ولا تخشى الافعى ولا سم الخطيئة . لقد عاد السندباد برعشة البرق وفطرة الطير التي تشتم :

مافي نية الغابات والرياح

تحس ما في رحم الفصل

تراه قبل ان يولد في الفصول

تفور الرؤيا ، وماذا ،

سوف تأتي ساعة

اقول ما اقول :

والسندباد يقول :

ضبيعت رأس المال والتجاره

عدت اليكم شاعرا في فمه بشاره .

ولقد صارح العربي في ذاته نموذجي التاجر والشاعر . والبعض الحاضر هو انتصار الشاعر والنبي والقائد . انه انتصار الجبين الابيض والسياف الدامي ، والكلمة الفاتحة .

وبعد ذلك ، فان « خليل حاوي » لم يقدم لنا مشاعر وفنا ، وثورية في النظم والصور ، والصناعة البديعية ، فحسب . لم يحقق لنا اكثر ماتمينناه لشعرنا ، من مزايا الشعر المصري ، الوحدة ، والابحاح الانساني والشمول الفكري فحسب ، بل اتانا ، نحن الثورين العرب ، بطريقة في الثورية والانبعاث . بمذهب يوحد بين مطلق ميتافيزيقي ، واحساس ارضي ، وزخم دموي ، وتلاقح بين شبق الجسد وشبق الفكر ، وشبق الكرم والخمر في عروق الارض ، وظلمة الجرار .

انه لم يكن مثاليا تجريديا ، ولا رواقيا متشائما ، ولا حيويا حسيا ، ولا دينيا متصوفا ، ولا ثوريا عديما . ولكنه كان كل ذلك ، لانه كان يملك حدسا باللحظة الحضارية . واللحظة الحضارية ، هي تلاقح من كسل هذه النزعات ، في ذروة من الخطر ، ينذر بالوجود او العدم . انها لحظة تصفية ، لكل المضامين الفكرية ، التي انتجتها اجيال هذه الحضارة ، وكل مضامين ونماذج ، قد فقدت الان قدرتها على تبرير جدارتها . انها في لحظة الشك المطلق ، في سبيل اليقين المطلق .

ولقد صاحبنا ملحمة خليل ، بكل لونيات هذا الشك واليقين ، فما العودة الى طقوس التراث ، من موقف الى اخر ، وما الارتداد الى تأكيد البعث ، والالاحاح على الخصب والرؤيا ، وعودة الانتعاش بين جسد الانسان ، وجسد امه الارض . ليس كل ذلك ، الا دليل المأساة التكوينية في وجدان متنبئ ، وساحر ، ومبشر ، ونذير .

ان من يتكلم باسم لحظة حضارية ، باسم عقدة تصفية كبرى ، من اجل ماض لم يعد غير مباله ، وحاضر ليس هو الا الرعب ، ومستقبل يشدنا اليه ، كما يشد جبل المغناطيس سفينة السندباد . ان من يتكلم بهذه الدعوى الضخمة ، لا يمكنه ان يكتفي باحاسيس الفرد العادي ، بشعر النظم ، بشذوذ الكذب والطاوسية ، والصعلكة على موائد الغرب . فلا بد من مضمون ثقافي نادر ، ومن بديهة تصهر الثقافة ، لتجعلها نتيجة اروع موسم عفوي ، ومقدر ، بحساب الفصول .

ان تجسيد المصير التاريخي في ملحمة من الشعر ، معناه ان هذا